مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد:22 العدد:3 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2020 ص: 571- 592

إنتاج الخطاب وتأويله من منظور النحو الوظيفي

Discourse production and interpretation from the Perspective of Functional Grammar

أ.عبد العزيز زرقي *

تاريخ الاستلام: 05-12-2019 تاريخ القبـــول: 10-06-2020

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تبيان كيفية محاكاة نماذج النحو الوظيفي لعمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، فمستعملو اللغة الطبيعية يملكون قدرة تمكنهم من إنتاج وتأويل أنماط مختلفة من الخطابات، وتتألف هذه القدرة من ملكات تسهم في العمليتين معا، وترصد نظرية النحو الوظيفي كل ملكة منها في قالب من قوالب النموذج الذي تفرزه، وتتفاعل هذه القوالب فيما بينها لتوفير المعلومات التي يقتضيها إنتاج الخطاب وتأويله.

وقد وصل المقال إلى نتائج تتعلق بإنتاج الخطاب وتأويله تتلخص في أن كلا منهما عملية قوالبية، حيث تسهم قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية فيهما وتزود مستعمل اللغة في تفاعلها بما يحتاج إليه من معلومات في إنتاج الخطاب أو تأويله، وهذا ما يعكس العمليات الذهنية التي تتم أثناء العمليتين معا، والتي أثبتتها الأبحاث النفسية حول البناء القالبي للدماغ البشري.

كلمات مفتاحيّة: النحو الوظيفي؛ نموذج مستعملي اللغة الطبيعية؛ إنتاج الخطاب وتأويله؛ القدرة التواصلية.

* جامعة باتنة1، الجزائر- البريد الالكتروني: aziz.mathlinguistique@gmail.com (المؤلف المرسل)

المنارة للاستشارات

Abstract:

This article shows how functional grammar models simulate discourse production and interpretation processes. Natural language users have the ability to produce and interpret different types of discourses, and this ability consists of faculties that contribute to the both processes. Functional grammar theory models each of these faculties, and these models interact with each other to provide information required to produce and interpret the discourse.

It concludes that discourse production and interpretation are both a model process to which contribute the natural language users models. It provides language user with information that he needs in discourse production or interpretation. This reflects the mental processes that happen during the two processes together proved by psychological research on the molded structure of the human brain.

Keywords: Functional grammar; Model of natural language user; discourse Production and interpretation; communication capacity.

1. المقدّمة:

ترصد المقاربة الوظيفية التفاعل القائم بين الخصائص الصورية والخصائص الوظيفية، فلا تتوقف عند رصد المعلومات المتعلقة بالخصائص المعجمية والصرفية - التركيبية والدلالية، بل تتجاوزها إلى تبيان كيفية توزيع تلك المعلومات من أجل المقاصد التواصلية، حيث يتم التواصل في موقف محدد تستعمل فيه العبارات اللغوية وسائل لتحقيق أغراض معينة، ولتقديم وصف دقيق لهذا التفاعل لا بد من الاهتمام بالجوانب التداولية التي تتعلق بالاستعمال اللغوي، ومن ثم يجب معالجة التداول باعتباره مستوى من مستويات التحليل اللغوي، وهذا ما نجده حاصلا في نظرية " النحو الوظيفي" المؤسسة تداوليا، التي تربط البنية بالوظيفة في وصف خصائص اللسان الطبيعي وتفسيرها، وتعد الخطاب المعطى اللغوي الذي يعكس تلك الخصائص بشكل أمثل، ويتبنى أصحاب هذه النظرية أطروحة أن إنتاج الخطاب أو تأويله عملية قوالبية، حيث تسهم قوالب نموذج مستعملي اللغة

المنارة للاستشارات

الطبيعية في العمليتين معا، وبالتالي تحاكي النماذج المقترحة في النظرية مراحل إنتاج الخطاب وتأويله، ويمكن مقاربة مسألة إنتاج الخطاب وتأويله من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: كيف تتفاعل قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية أثناء إنتاج الخطاب وتأويله؟ وما وظيفة كل قالب في العملية التواصلية بشقيها الإنتاجي والتأويلي؟ وهل للسياق دور في الإنتاج والتأويل يقتضي إفراد قالب له ضمن مكونات النموذج؟

يملك مستعملو اللغة الطبيعية مجموعة من الملكات تؤهلهم لإنتاج وتأويل أنواع مختلفة من الخطابات، وهي ملكات تتفاعل فيما بينها أثناء عملية التواصل إنتاجا وتأويلا، وتتميز العملية التواصلية بالحركية من بدايتها إلى منتهاها، فالمشارك فيها « ينتج ويؤول في ذات الوقت، ويكون إنتاجه مرتبطا بتأويل خطاب الآخر (نعيمة الزهري، 2014) »[1].

والمقصود بالتأويل مختلف العمليات الذهنية التي ينجزها المخاطب لإدراك معنى الخطاب الموجه إليه، ولكي يدرك المخاطب معنى الخطاب يتعين عليه فهم فحوى الخطاب من جهة، كما يتوجب عليه الوصول إلى قصد المتكلم من جهة أخرى وهذا يفيد أن عملية التأويل يجب أن تنصب على الفعل الخطابي المراد إنجازه وعلى مضمون الخطاب ذاته (أحمد المتوكل، 2013)[2]، فعملية التواصل تكون ناجحة حين يؤول الخطاب تأويلا سليما، فلا ينجح التواصل إلا حين « يفهم المخاطب تمام الفهم خطاب المتكلم من حيث فحواه ومن حيث مقصده (أحمد المتوكل، 2011) »[3] ويتم الفهم بواسطة عمليات ذهنية ينجزها المخاطب ليدرك ما يرمي إليه المتكلم فالآليات التأويلية التي يستخدمها المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تتبنى على مقاصده، إذ بدونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجه إليه (العياشي أدراري، 2011)[4].

المنارة للاستشارات

1ـ النمذجة في نظرية النحو الوظيفي:

ينتمي " النحو الوظيفي " إلى مجموعة النظريات اللسانية الوظيفية، ويسعى إلى رصد « التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية (أحمد المتوكل، 1987)»[5]، ويعد من الأنحاء المؤسسة تداوليا التي تدرس اللغات الطبيعية باعتبارها « بنيات تحدّد خصائصَها (جزئيا على الأقل) ظروفُ استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل (أحمد المتوكل 1985)»[6]، وينطلق من افتراض أن البنية والوظيفة عنصران مترابطان لا يمكن الفصل بينهما، وصيغت هذه الفرضية في مبدأ وظيفي عام يقضي بتبعية بنية اللغة لوظيفة التواصل، وترتبط بنية اللغة بهذه الوظيفة التواصلية ارتباط تبعية، حيث «تحكم الوظيفة بنية اللغة عامة وبنية ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابية (أحمد المتوكل، 2011)»[7].

ويهدف النحو الوظيفي إلى بناء نموذج للقدرة التواصلية، ولا بد من تحكيم عملية النمذجة إلى معايير تمكن من تقويم النماذج المقترحة والمفاضلة بينها، وقد فرضت هذه النظرية على نفسها قيودا تحكم بناء الجهاز الواصف وتضبط صياغة التمثيلات والقواعد فيه، والضابط الأساس في هذا المجال هو مدى سعي النظرية في تحصيل الكفاية التداولية والكفاية النفسية والكفاية النمطية، فالنحو الوظيفي يطمح إلى تطوير نموذج نحوي كاف تداوليا ونفسيا ونمطيا، وقد تمت صياغة هذا النموذج بالاعتماد على المبادئ المنهجية التي ارتكزت عليها النظرية، وشكّلت ضوابطُ الوصف اللغوي روافدَ لإغناء وتطوير النموذج النواة الذي انطلقت منه، فكان ذلك النموذج لبنة أولى في صياغة النماذج التي اقترحت بعده، حيث قام النحاة الوظيفيون بتطويره على أساس ما توصلوا إليه

المنارة للاستشارات

في سعيهم نحو تحصيل الكفاية التداولية فالكفاية النمطية ثم الكفاية النفسية، فكان من نتائج ذلك اقتراح عدة نماذج نحوية من أهمها " النموذج المعيار " و" نحو الطبقات القالبي " ثم " نحو الخطاب الوظيفي" .

ولقد اقتضى تصور النحو الوظيفي نظرية للقدرة التواصلية أن يكون هذا النحو قالبي البنية، أي نسقا يتكون من مجموعة من القوالب، حيث يستقل كل قالب عن القوالب الأخرى بمبادئه وقواعده، إلا أن هذه القوالب رغم استقلالها تتفاعل في ما بينها، إذ يستمد كل قالب من بقية القوالب ويمدها بما تحتاج إليه من معلومات لإنتاج الخطاب وفهمه، فهذه القوالب يغذي بعضها بعضا فيكون خرج بعضها دخلا لبعض، فكان للقالبية دور في بنائه حتى يتمكن من وصف وتفسير الخطاب الطبيعي بمختلف أقسامه وأنماطه.

1- 1- **النموذج النواة:** يمكن إدراك قالبية النحو الوظيفي منذ النموذج النواة الذي صاغه ديك سنة 1978 م، ويتكون هذا النموذج الأولي من أربعة مكونات تتفاعل بطريقة محددة في إنتاج العبارة اللغوية وتأويلها، حيث يقوم المكون الأساس بقسميه المعجم وقواعد التكوين بتزويد المكونات الأخرى بإطار حملي ويعد الإطار الحملي دخلا لقواعد المكون الدلالي المنطقي، الذي يضم قواعد تحديد مخصصات المحمول وقواعد تحديد مخصصات الحدود وقواعد إدماج الحدود. خرج هذا المكون بنية دلالية – منطقية هي عبارة عن بنية حملية تتخذ دخلا لقواعد المكون التداولي، الذي يتضمن قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية وقواعد تحديد القوة الإنجازية، وتشكل البنية الوظيفية الناتجة عنه دخلا لقواعد المكون التركيبي، حيث تقوم قواعد التعبير بنقلها إلى بنية مكونية، وبتطبيق القواعد الصوتية على بنية المكونات نحصل على عبارة لغوية

المنارة للاستشارات

تامة التحقيق، ومن الواضح أن كل مكون من هذه المكونات يتمتع باستقلاله الخاص، ويخضع لمبادئه الخاصة التي تنظم طريقة عمله، ويتفاعل مع المكونات الأخرى فيفضي إليها وتفضي إليه (عز الدين البوشيخي، 2012)[8]، كما يوضحه الرسم التالي:

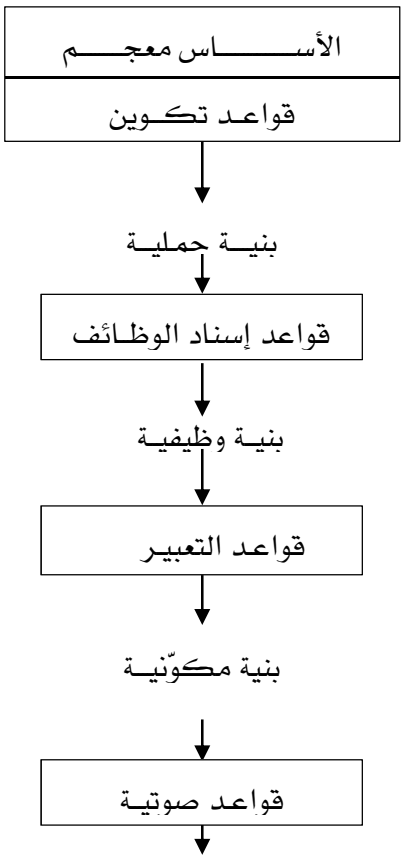

1- 2- **البناء القالبي المعيار:** في إطار السعي في تحصيل الكفاية التداولية اقترح سيمون ديك إغناء النموذج النواة، وتجسدت التعديلات في بناء النحو

المنارة للاستشارات

الوظيفي المعيار في شكل نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية، وصاغ هذا النموذج على أساس أن التواصل لا يتم بواسطة المعرفة اللغوية وحدها، بل بواسطة تفاعل هذه المعرفة مع معارف أخرى غير لغوية، فافترض أن القدرة التواصلية تشمل– على الأقل- خمس ملكات (لغوية و معرفية و منطقية و اجتماعية وإدراكية)، وتقوم كل ملكة بدورها في إنتاج الخطاب وفهمه على النحو التالي:

- تمكّن الملكة اللغوية (Linguistic capacity) مستعمل اللغة من إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها في مواقف تواصلية معينة.

- بفضل الملكة المنطقية (Logical capacity) يتمكن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف جديدة من معارف متوافرة لديه عن طريق قواعد استدلالية تحكمها مباديء المنطق الاستنباطي.

- تمكّن الملكة المعرفية (Epistemic capacity) مستعمل اللغة من تكوين رصيد من المعارف اللغوية وغير اللغوية وتخزينها لاستعمالها في إنتاج الخطاب و تأويله.

- تمكّن الملكة الإدراكية (Perceptual capacity) مستعمل اللغة من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك محيطه في إنتاج الخطاب وتأويله.

- تتيح الملكة الاجتماعية (Social capacity) لمستعمل اللغة ضبط وضع مخاطبه الاجتماعي، فيعرف كيف يوجه خطابه توجيها يناسب ذلك الوضع (أحمد المتوكل، 2012)[9] .

وتربط بين هذه الملكات علاقة محددة ذات طابع قالبي، ويقتضي تبني افتراض القالبية أن يمثل لكل ملكة في شكل قالب مستقل ببنيته وبمبادئه، وأن تتفاعل هذه القوالب أثناء إنتاج الخطاب وتأويله، وعلى هذا الأساس يتكون

المنارة للاستشارات

النموذج المعيار من خمسة قوالب متفاعلة ترصد ملكات القدرة التواصلية الخمس، كما يوضحه الرسم التالي:

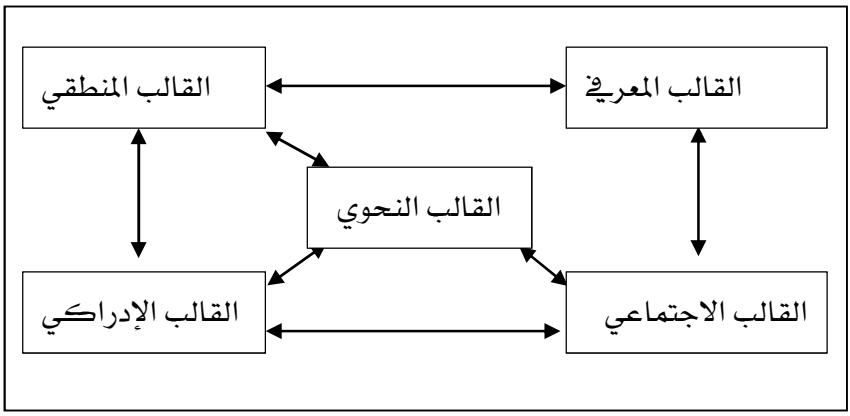

1- 3- **نحو الطبقات القالبي:** كان السعي في تحصيل أكبر قدر من الكفاية النمطية وراء بناء نموذج جديد يفصل بين التداول والدلالة، فقد تجسّد الفصل بينهما في النموذج الذي اقترحه المتوكل في إطار سعيه في توحيد النحو الوظيفي، وتم فيه الجمع بين الطبقية والقالبية فأصبح النحو بذلك طبقيا وقالبيا في الوقت نفسه ولذلك أطلق المتوكل على هذا النموذج اسم " نحو الطبقات القالبي "

واقترح المتوكل في إطار نحو الطبقات القالبي بنية نموذجية للخطاب تعكس مراحل إنتاجه، التي تنطلق من اتخاذ قرار الدخول فيها وتنتهي بالتحقيق الصوري للخطاب، وذلك بعد القيام بثلاث عمليات انتقائية تتعلق بتحديد القصد التواصلي وتحديد الفحوى المناسب له ثم صياغة القصد والفحوى في تركيب ملائم، وحسب هذا المنظور تشتغل القوالب انطلاقا من القالب التداولي فالقالب الدلالي ثم القالب

المنارة للاستشارات

النحوي، وتتضمن عملية تأويل الخطاب نفس المراحل لكن في اتجاه عكسي، حيث تنطلق من القالب النحوي إلى القالب الدلالي ثم القالب التداولي.

يعد القالب التداولي والقالب الدلالي والقالب النحوي قوالب أساسية في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، باعتبار أنها القوالب التي يتحتم تشغيلها في العمليتين معا، وقد تضاف إليها عند الضرورة قوالب مساعدة كالقالب الاجتماعي والقالب المعرفي والقالب المنطقي ...، والتي يقتصر دورها على تزويد منتج الخطاب أو مؤوله بمعلومات إضافية (أحمد المتوكل، 2003)[10].

ويمكن توضيح كيفية اشتغال قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية أثناء إنتاج الخطاب أو تأويله بالرسم التالي:

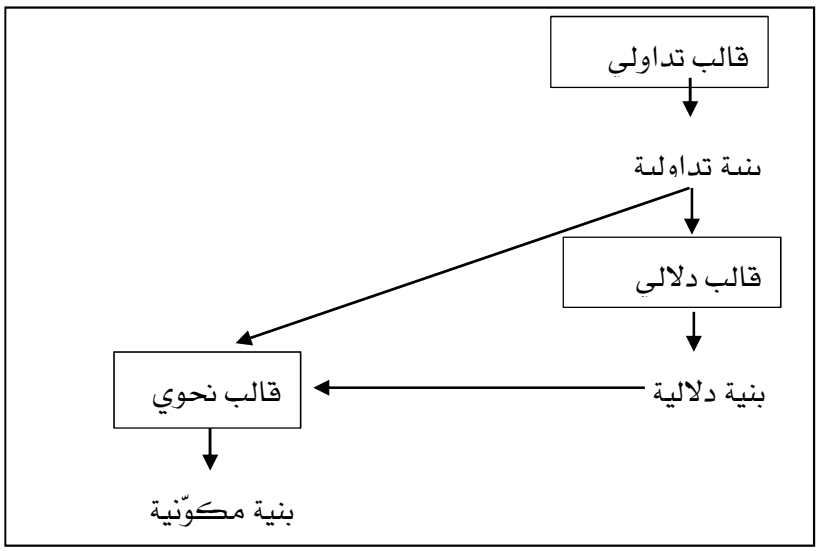

1- 4- نحو الخطاب الوظيفي: اقترح هنخفلد وماكنزي هندسة جديدة للنحو الوظيفي تجمع بين الطبقية والقالبية، ويسعى النموذج المقترح لتحقيق أكبر قدر من الكفاية النفسية، التي تقتضي أن يعكس مراحل إنتاج الخطاب وتأويله،

المنارة للاستشارات

ويصوغ هذا النموذج المسمّى " نحو الخطاب الوظيفي " كل مستوى من مستويات التمثيل في شكل قالب.

يتألف نموذج " نحو الخطاب الوظيفي " من أربعة قوالب متفاعلة: قالب نحوي مركزي تحيط به ثلاثة قوالب ثانوية (مفهومي و سياقي و خرج)، ويتم هذا التفاعل بواسطة إواليتين أساسيتين هما: إوالية " **الصياغة** " وإوالية " **التعبير**"، حيث تتكفل إوالية الصياغة بتحديد القصد من الخطاب وفحواه، وينتج عنها مستويان تحتيان: المستوى العلاقي و المستوى التمثيلي، وتحدد في هذين المستويين الخصائص التداولية والخصائص الدلالية، وتنقل البنية التحتية الناتجة إلى بنية صرفية – تركيبية يتم تحديدها صوتيا على المستوى الفونولوجي في شكل بنية نبرية – تنغيمية مجردة. ويشكل المكون المفهومي القوة الدافعة للمكون النحوي، إذ يعد المسؤول عن نوعين من العمليات : تطوير القصد التواصلي المتعلق بالحدث الكلامي الجاري، وإنشاء التصورات المرتبطة به والمتعلقة بالأحداث غير اللغوية (HENGEVELD & MACKENZIE 2008)[11]، ويعنى المكون السياقي بما سماه ديك المعلومات التداولية، التي تستخدم لتسهيل تطوير المتكلم للمقاصد التواصلية وتأويل المستمع للخطاب، أما المكون الخرج فيتعلق ببلورة اللغة نطقا أو كتابة أو إشارة .

ويعكس نحو الخطاب الوظيفي المراحل المختلفة لإنتاج الخطاب (من القصد إلى النطق)، وتحاكي القوالب المكونة للنموذج في اشتغالها مراحل عملية إنتاج الخطاب في تصور لفلت، والمتمثلة في تحديد القصد المراد تبليغه فتحديد الفحوى المناسب للقصد فصياغة القصد والفحوى في تركيب مناسب ثم تحقيق التركيب نطقا أو كتابة.

المنارة للاستشارات

ويوضح الشكل التالي المعالم الكبرى لنموذج " نحو الخطاب الوظيفي ":

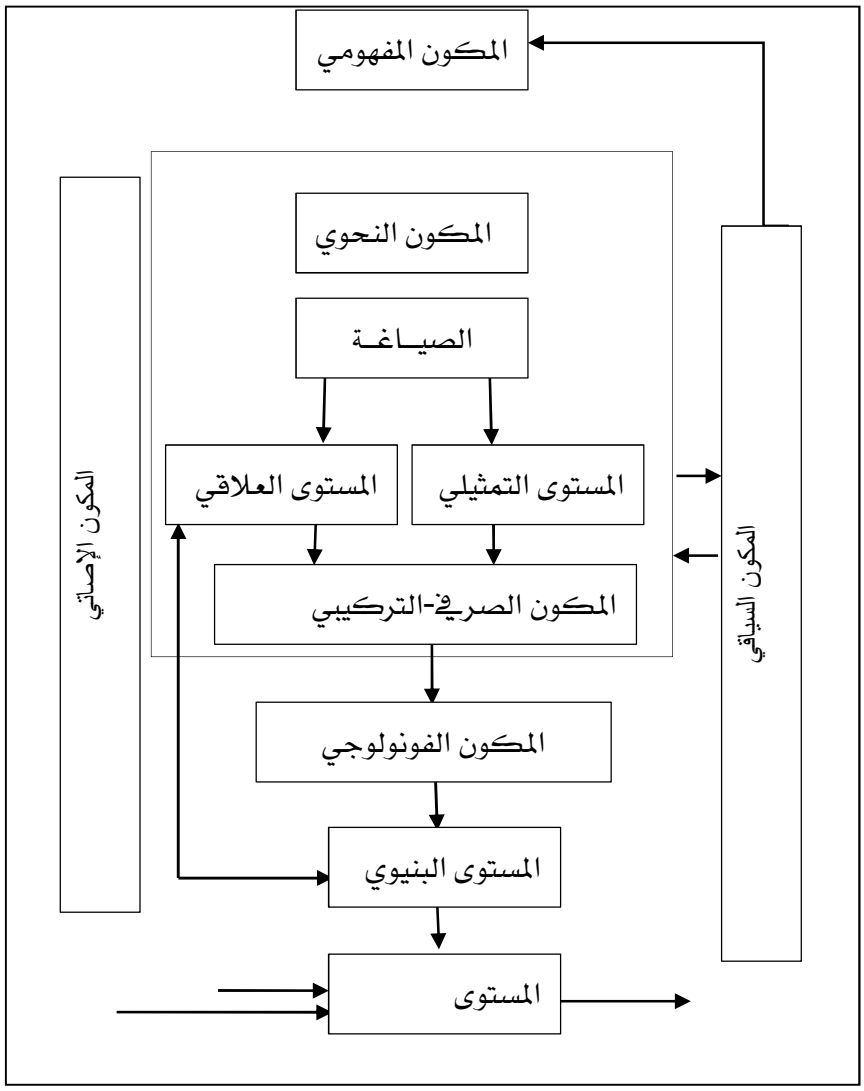

من أهم خصائص هذا النموذج أنه يميز بين أربعة مستويات في تنظيم بنية الخطاب، حيث تنطلق عملية إنتاج الخطاب من المستوى العلاقي نحو المستوى

المنارة للاستشارات

الصرفي- التركيبي ثم المستوى الفونولوجي مرورا في غالب الأحوال بالمستوى التمثيلي، تؤطرها المكونات المصاحبة وبالخصوص المكون السياق، ويحكم هذه العملية انعكاس المكون السياقي في مستويات المكونات الأربعة وانعكاس عناصر السابق منها في اللاحق انعكاسا تتفاوت درجة شفافيته (أحمد المتوكل، 2012)[12].

2ـ تفاعل القوالب أثناء عمليتي الإنتاج والتأويل:

يؤدي كل قالب من قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية دورا في عملية التواصل بشقيها الإنتاجي والتأويلي، وعلى هذا الأساس تتفاعل القوالب بكيفية محددة أثناء إنتاج الخطاب وتأويله في مقامات تواصلية معينة، فبمجرد ما تتأكد النية في إقامة تواصل لغوي تتحفز كل القوالب للإسهام في قيامه، ويتدخل كل قالب في آداء وظيفته المنوطة به إذا وجد المحفز، وعند انعدامه يظل في حالة انتظار، ويلجأ كل قالب إلى التفاعل مع غيره من القوالب حسب ما يستدعيه إنتاج العبارات اللغوية الواردة في مقامات تواصلية محددة وتأويلها، ويخضع تفاعل القوالب فيما بينها إلى آليات الضبط الذاتي، حيث لا تحتاج القوالب إلى إواليات إضافية تحدد العلاقة بينها، وقد افترض ديك أن كل القوالب تتفاعل فيما بينها حيث يعد خرج أحد القوالب دخلا للقوالب الأخرى، وهذا يعني أن القالب يقوم ببناء العبارة اللغوية أو تأويلها من الجهة التي تعنيه: النحوية أو المعرفية أو المنطقية أو الإدراكية أو الاجتماعية، فتنتج عنه بنية يتخذها قالب آخر دخلا له فيستكمل بناءها أو تأويلها من الجهة التي تخصه، كما لاحظ أن القوالب تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية، مفترضا أن القالب النحوي والقالب المعرفي

المنارة للاستشارات

والقالب المنطقي أهم من القالبين الإدراكي والاجتماعي، ويفسر هذه الأهمية بكثرة الاستعمال في مقامات تواصلية متعددة (عز الدين البوشيخي، 2012)[13].

2- 1- **تفاعل القوالب أثناء الإنتاج:** لنتأمل الزوج الجملي التالي:

أ- هل نشرت مقالك؟

ب- لم أكمل كتابته بعدُ، فهل تعيرني هذا المرجع؟

تم هذا الحوار بين صديقين حيث يسأل أحدهما الآخر عما إذا كان قد نشر مقاله أم لا، فيجيبه المخاطب بأنه مازال بصدد كتابة المقال، وأنه يحتاج إلى الكتاب الذي يحمله معه.

يتطلب إنتاج الجملتين (أ) و (ب) تفاعل عدة قوالب هي: القالب المعرفي والقالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي، حيث يتضمن القالب المعرفي معلومات من مثل العلم بأن المخاطب يحضر بحث الدكتوراه، وأنه يجب عليه نشر مقال في مجلة محكمة حتى يتسنى له مناقشة رسالته، وأن كتابة مقال علمي يقتضي مدة طويلة والحصول على مراجع كافية لذلك، ويقدم القالب الاجتماعي المعلومات التي تحدد وضع المتخاطبين الاجتماعي (علاقة صداقة)، في حين يقدم القالب الإدراكي المعلومات المستمدة من المدركات الحسية، أما القالب المنطقي فيستخدم في التمييز بين السؤال المحض والسؤال المستلزم ويستفيد القالب النحوي من كل هذه المعلومات في صياغة الجملتين (أ) و (ب).

2- 2- **تفاعل القوالب أثناء التأويل:** يمكن التمييز بين حالتين: حالة بسيطة لا يحتاج تأويل العبارة اللغوية فيها لقالب آخر غير القالب النحوي، وحالة معقدة يقتضي فيها تأويل العبارة اللغوية قوالب أخرى إلى جانب القالب النحوي.

المنارة للاستشارات

على هذا الأساس يتطلب تأويل عبارة " أعرني كتاب المتوكل، اللغوي الوظيفي، الذي يحمل عنوان " الخطاب الموسّط "، والذي ظهر سنة 2011 ضمن منشورات الاختلاف، بلون أخضر " قالبا واحدا هو " القالب النحوي "، وذلك لأن مثل هذه العبارات « تمد المخاطب بكل المعلومات التي تمكنه من تأويلها تأويلا كافيا ملائما، بحيث لا يحتاج اللجوء إلى معلومات أخرى غير المعلومات الواردة في العبارة (أحمد المتوكل، 2013) »[14]، في حين يتطلب تأويل عبارة " هل حصلت على كتاب المتوكل الأخير ؟ " تفاعل جميع القوالب بالكيفية التالية:

أ- يمد القالب النحوي المؤول بالمعلومات اللغوية الصرف وهي: معلومات صرفية- تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات ...)، ومعلومات دلالية (معاني المفردات، معنى العبارة ككل) ومعلومات تداولية (القوة الإنجازية التي تواكب العبارة ككل باعتبارها قوة إنجازية حرفية). فبفضل هذه المعلومات يستطيع المخاطب أن يدرك " المعنى اللغوي " للعبارة المعنية بالأمر.

ب- يوفر القالب المعرفي للمؤول المعلومات التي توصله إلى التعرف على ما تحيل عليه العبارة " كتاب المتوكل الأخير "، ولا يستطيع أن يتوصل إلى ذلك إلا إذا توافرت لديه المعلومات التالية: أن ثمة لغويا عربيا يسمى أحمد المتوكل وأن هذا اللغوي قد كتب مجموعة كتب وأن آخر هذه الكتب كتاب ظهر في سنة 2011 ويحمل عنوان " الخطاب الموسّط ".

المنارة للاستشارات

ج- على اعتبار أن الجملة السابقة واردة في مقام الالتماس لا السؤال المحض (على اعتبار أن المراد بها طلب المتكلم من المخاطب إعارته كتاب المتوكل الأخير) توكل مهمة اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا (أي الالتماس) إلى القالب المنطقي.

وتتم هذه العملية الاشتقاقية كما هو معلوم عن طريق قواعد استدلالية تربط بين البنية التحتية الممثل لها في القالب النحوي، والبنية التحتية التي يمثل لها داخل القالب المنطقي.

د- لكي يتوصل المؤول إلى إدراك أن المراد التماس، يجب أن يلجأ إلى القالب الاجتماعي الذي يمده بالمبدأ القاضي بأن الطلب الصادر من شخص ذي وضع اجتماعي مماثل (أو مساو) يكون التماسا (لا أمرا ولا دعاء). هذه المعلومة تستخدم في عملية اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا؛ أي الالتماس، وتمنع في الوقت ذاته من أن تؤول العبارة على أساس أنها تحمل قوة إنجازية أخرى.

ه- وقد يشتغل القالب الإدراكي كذلك في تأويل العبارة المعنية بالأمر حيث يمكن للمخاطب أن يستعين في عملية التعرف على الكتاب المقصود بالصورة التي له عنه (كتاب ذو حجم معين ولون معين ...).

نخلص من تحليل المثالين السابقين إلى أن كل عبارة لغوية تستدعي من القوالب ما يحتاج إليه لتأويلها، سواء أتعلق الأمر بقالب واحد هو القالب النحوي كما يبينه المثال الأول، أم بقالبين أو أكثر كما هو الحال في المثال الثاني، مفترضا أن القالب النحوي يشكل - في جميع الأحوال – منطلق عملية التأويل إذ لا يتصور أن يستغنى عن هذا القالب إذا تعلق الأمر بإنتاج أو تأويل عبارة لغوية ما، وبالمقابل

المنارة للاستشارات

كلما كانت المعلومات التي يوفرها القالب النحوي غير كافية يصبح تدخل قالب آخر ضروريا.

تتفاوت أهمية دور القوالب في تأويل العبارات اللغوية وفقا لأنماط الخطاب ففي الخطاب الموضوعي (العلمي مثلا) يلجأ بالأساس إلى القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب المعرفي، في حين يلجأ حين يتعلق الأمر بالخطاب الذاتي إلى القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي إضافة إلى القالب النحوي، وقد يختلف دور القوالب وأهميتها في تأويل أنماط أخرى، وخلص المتوكل إلى أن قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية تسهم، بنسب متفاوتة، لا في تأويل الخطاب فحسب بل كذلك في إنتاجه (أحمد المتوكل، 2013)[15].

3ـ دور السياق في إنتاج الخطاب وتأويله:

تعاملت عدة دراسات مع أبعاد السياق المتصلة بالتحليل اللغوي، وبالرغم من اتفاق الوظيفيين على أهمية السياق وصلته بدراسة الظواهر اللغوية، وتأكيدهم على دوره في عملية التواصل بشقيها الإنتاجي والتأويلي، فلا يزال النقاش قائما حول كيفية الربط بين السياق والنحو من خلال طرح الأسئلة التالية: ما الطريقة التي يتفاعل بها السياق مع المعرفة النحوية في إنتاج الخطاب وتأويله؟ وما هي المعلومات السياقية المتصلة بالوصف والتفسير اللغويين؟ وكيف يمكن إدماج تلك المعلومات في النموذج النحوي؟

3- 1- **طبيعة السياق**: يتألف السياق من كل ما يحيط بالخطاب ويتعلق بإنتاجه وتأويله؛ أي جملة العناصر المكونة للموقف التواصلي التي لها صلة بالحدث التواصلي، وتتمثل العناصر المتصلة بالحدث التواصلي في الجوانب التي لها

المنارة للاستشارات

تـأثير في الخطـاب إنتاجـا وتـأويلا ، فالسـياق يعـد عـاملا مهمـا في إنتـاج الخطـاب وتأويله، ومن أهم جوانب السياق:

أ- الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي؛

ب- الأحداث اللغوية نفسها؛ أي العبارات المنطوقة؛

ج- الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي؛

د- أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلا.

3- 2- تصنيف السياق: حاول اللسانيون الوظيفيون تقسيم السياق داخليا إلى أصناف، وفي ضوء الأعمال الموجودة في تحليل السياق يمكن أن نورد تصنيف المتوكل، الذي قسم السياق إلى " سياق مقامي " و " سياق مقالي " ينقسم كل منهما إلى " خاص " و " عام "، ويقصد بالسياق المقامي مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر لدى كل من المتكلم والمخاطب أثناء عملية التواصل، ويتضمن في شقه الخاص العناصر المتواجدة في الموقف الذي تتم فيه عملية التواصل ذاتها، وفي شقه العام العناصر التي تشكل الخلفية الاجتماعية – الثقافية لإنتاج الخطاب وفهمه. ويقصد بالسياق المقالي مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين، ويتضمن السياق بمعناه الضيق أي ما يسبق وما يلي نصا ما في موقف تواصلي معين، فهو يضع الخطاب في إطار ما يسبقه وما يتلوه، والسياق بمعناه الواسع الذي يشمل العلاقة القائمة بين نص ما ونص آخر (أحمد المتوكل، 2017)[16].

ويشكل كل خطاب نموذجا ذهنيا يشارك في بنائه كل من المتكلم والمخاطب، ويتسم هذا النموذج بسمتين أساسيتين: سمة الجزئية وسمة الحركية. يتصف نموذج الخطاب الذهني بالجزئية لأنه لا يمكن أن يتضمن جميع ما يمكن

المنارة للاستشارات

أن نعرفه عن جميع العوالم الممكنة، ويتصف نموذج الخطاب الذهني بالحركية لأنه ليس نموذجا قارا ثابتا من بداية الخطاب إلى نهايته، بل إنه يتغير ويعدل حسبما تقتضيه كل مرحلة من مراحل التخاطب[17]، وتؤثر العوامل السياقية في إنتاج الخطاب وتأويله من خلال حضورها في أذهان المشاركين فيه.

3- 3- السياق في نحو الخطاب الوظيفي: من المسلمات التي تقر بها كل نظرية وظيفية أن للمعلومات السياقية، بكل أبعادها ومظاهرها، دورا مهما في إنتاج الخطاب وتأويله. لكن ما كم المعلومات السياقية التي لها صلة بالوصف اللغوي؟ وبتعبير آخر، ما المعلومات التي يمكن إدراجها في المكون السياقي؟ وكيف تتفاعل هذه المعلومات مع مستويات التحليل التي تشكل نحو اللغة؟

لا يهدف نحو الخطاب الوظيفي إلى التزويد بوصف كامل لكل مظاهر السياق التي يمكن أن تؤثر في المساهمة اللغوية للمتكلم، فالمكون السياقي في نحو الخطاب الوظيفي يتضمن فقط المعلومات التي يمكن أن يكون لها تأثير على الاختيارات النحوية التي يجريها المتكلم أثناء عملية الصياغة.

ومن المفترض أن المكون السياقي يتفاعل مع المكون النحوي خلال المراحل المختلفة من النموذج، حيث يتيح تخزين المعلومات السياقية واسترجاعها، كما يتضمن خصائص الموقف التواصلي التي لها صلة بالمشاركين في الخطاب، ويتعلق بما يسمّيه ديك " المعلومات التداولية "، التي تكمن وراء تسهيل تطوير المتكلم للمقاصد التواصلية وتأويل المستمع للخطاب، فالمكون السياقي يتكفل «برصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقيه المقامي والمقالي (أحمد المتوكل 2014)»[18]. إذ يقوم بدور أساسي يتمثل في تلقي المعلومات المقالية والمقامية

المنارة للاستشارات

وتخزينها، والتي يتم وفقها اختيار القوة الإنجازية أو الوظائف التداولية، وكذا انتقاء الوحدات المعجمية والمكونات الصرفية والتركيبية حسب الخلفية الاجتماعية- الثقافية لمنتج الخطاب.

ويميز نحو الخطاب الوظيفي بين السياق والمكون السياقي، حيث يشمل الأول كل المعلومات السياقية المتوافرة لدى المشاركين في الخطاب في موقف تواصلي معين، في حين يتضمن الثاني المعلومات السياقية المتعلقة بعمليتي الصياغة والتعبير في المكون النحوي. في نفس الوقت، يوفر المكون السياقي مساحة تخزين لنتائج العمليتين في كل المستويات: العلاقي (التداولي) والتمثيلي (الدلالي) والصريفي- التركيبي والفونولوجي . وكلما استمر الخطاب يتم تحديث المكون السياقي باستمرار ويكون متاحا لكل من عمليتي الإنتاج والتأويل (Evelien Keizer, 2014)[19]، ويستمر المكون النحوي في التفاعل مع المعلومات السياقية أثناء عمليتي الصياغة والتعبير.

خاتمة:

استخدمت النماذج المقترحة في إطار نظرية النحو الوظيفي لمعالجة قضايا الخطاب، ويتكون كل نموذج من قوالب مستقلة من حيث قواعدها ومبادئها، لكن هذه القوالب تتفاعل فيما بينها فيغذي بعضها بعضا، وتحاكي في اشتغالها عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، فتعكس بذلك العمليات الذهنية التي يجريها منتج الخطاب أو مؤوله، إذ ينطلق إنتاج الخطاب من تحديد القصد فتحديد الفحوى المناسب لذلك القصد ثم صياغة القصد والفحوى في تركيب مناسب وأخيرا تحقيق التركيب نطقا أو كتابة، وهي مراحل تتم في الاتجاه المعكوس خلال

المنارة للاستشارات

تأويل المخاطب للخطاب الموجه إليه، وتشتغل قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية بنفس الطريقة، فينتج عنها بنية تداولية يؤشر فيها للقصد من الخطاب، وبنية دلالية يمثل فيها للفحوى الخطابي، وتشكل البنيتان التداولية والدلالية المستوى التحتي من بنية الخطاب، وتنقل البنية التحتية للخطاب إلى بنية سطحية بتحقيق المؤشرات المجرّدة في البنيتين التداولية والدلالية، حيث تتحقق المعلومات الواردة فيهما في بنية صرفية- تركيبية تحدد فيها الخصائص الصرفية والتركيبية للخطاب، وبنية فونولوجية تتحدد فيها الخصائص النبرية والتنغيمية .

ويمكن تلخيص ما وصلت إليه هذه الدراسة في النتائج التالية:

1- إن إنتاج الخطاب أو تأويله عملية قوالبية تستخدم فيها إجراءات ذهنية.

2- يتم إنتاج الخطاب أو تأويله عبر مراحل محددة.

3- ينطلق إنتاج الخطاب من القصد إلى النطق مرورا بالصياغة.

4- تتم مراحل تأويل الخطاب في الاتجاه المعاكس لمراحل إنتاجه.

5- تحاكي قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية في اشتغالها مراحل الإنتاج والتأويل.

6- يقوم السياق بدور هام في إنتاج الخطاب وتأويله استلزم إفراده بقالب خاص به في النموذج الأخير لنظرية النحو الوظيفي.

المنارة للاستشارات

الهوامش:

(1) نعيمة الزهري، إنتاج الخطاب من نظرية النظم إلى نظرية النحو الوظيفي، العدد الأول، مجلة بيان، مؤسسة مليطان للبحوث والدراسات والإنماء الثقافي، (ليبيا: مؤسسة مليطان للبحوث والدراسات والإنماء الثقافي، 2014)، ص24.

(2) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي – التداولي، منشورات الاختلاف، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2013)، ص 143.

(3) انظر: أحمد المتوكل، الخطاب الموسط: مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، ط1، منشورات الاختلاف، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2011)، ص16.

(4) انظر: العياشي أدراري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط 1، منشورات الاختلاف (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2011)، ص101.

(5) أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية، ط 1، دار الثقافة، (الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة، 1987)، ص5.

(6) أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة، (الدار البيضاء المغرب: 1985)، ص08.

(7) أحمد المتوكل، الخطاب الموسّط (مرجع سبق ذكره)، ص 70.

(8) انظر: عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية)، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 2012)، ص61.

(9) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (مرجع سبق ذكره)، ص 24- 25.

(10) أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، ط 1، دار الأمان، (الرباط، المغرب: دار الأمان، 2003)، ص41.

(11) Hengeveld & Mackenzie, Functional discourse grammar, Oxford University Press, (Oxford: Oxford University Press , 2008), p3.

المنارة للاستشارات

(12) انظر: المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة: دراسة في التنميط والتطور، ط1، منشورات الاختلاف، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2012)، ص46.

(13) عزالدين البوشيخي، التواصل اللغوي (مرجع سبق ذكره)، ص101.

(14) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (مرجع سبق ذكره)، ص 33.

(15) المرجع السابق، ص34.

(16) أحمد المتوكل، الوظيفية وهندسة الأنحاء، مجلة أنساق، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، 2017، ص190.

(17) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (مرجع سبق ذكره)، ص 20.

(18) أحمد المتوكل، المكون السياقي في نظرية النحو الوظيفي، العدد الأول، مجلة بيان (ليبيا: مؤسسة مليطان للبحوث والدراسات والإنماء الثقافي، 2014)، ص8.

(19) Evelien Keizer, THE INTERACTION BETWEEN CONTEXT AND GRAMMAR IN FUNCTIONAL DISCOURSE RAMMAR, (INTRODUCTION: International Pragmatics Association , 2014) , p195.

المنارة للاستشارات